

تقدر تاريخها أن تذرهما للنسيان يعث بها وينجني عليها . من ذلك اختلاف الأقوال على موقع حنين حيث كانت الغزاة التي تركت في تاريخ الإسلام أثراً قل كمثله أثر . ومنه اختلافهم على موقع عكاظ سوق العرب جميعاً في الجاهلية وفي صدر الإسلام . وإنما سوغ الجهل الذي خيم على بلاد العرب من عصر العباسيين هذه الجنابة النكراء ، كما سوغ أمراً لا يقل عنها بكرة فقد أقيمت آثار لحوادث وقعت وليس في التاريخ ما يدل على أنها وقعت حيث تقوم هذه الآثار ، وأقيمت آثار لحوادث لا يعرف التاريخ الحق من أمرها شيئاً . وتحقيق ذلك كله وبيان قيمته العلمية أمر جدير بكل من يريد الحقيقة . وقد حاولت من ذلك ما استطعت . لكن هذا التحقيق يحتاج إلى أضعاف أضعاف الأندى قضيته بالحجاز ، ويحتاج مع الزمن إلى بحوث ينقطع لها صاحبها ليقابل بين ما جاء في الكتب المختلفة ، لعله يبلغ من المقابلة إلى ما تستقيم به النتيجة التي يتوحيها . وليس يخامرني ريب في أن هذا العمل لو قامت به بعثة جامعية لوجدت فيه من الفائدة ومن المتاع العلمي ما تهون معه كل مشقة .

وكان حديث الآثار الصحيحة التي وقفت عندها كُله البلاغة في التعبير عما تدل عليه وتوجيهه إلى النفس من آي الجلال والعظمة . فجيل حراء والغار في قمته ، ومسجد عداس بالطائف ، ومسجد العقبة وجرمها ، وحمل ثور ومختبأ رسول الله وأبي بكر بالغار فيه ، والطريق الذي سلكه النبي إلى المدينة حين هجرته من مكة ، ومسجد قباء ، والمسجد النبوي والآثار الكثيرة المختلفة بالمدينة ، وميدان بدر حيث وقعت الغزوة الأولى بين قريش والمسلمين . هذه المواقع وما إليها كانت تثير أمام ذهني ذكريات مليئة بالحياة كأنما حدثت بالأمس ، وكانت توحى إليّ معاني الإكبار والإعظام وتزيدني إحلالاً لهذه الأماكن في صمتها العميق لم يغير منه توالي القرون . ولقد كان ما أوحته هذه الأماكن مما حاولت تصويره في هذا الكتاب أبلغ من كل ما استطاع قلبي أن يصفه أضعافاً مضاعفة .

ولقد كشفت لي هذه الآثار عن صورة لبلاد العرب حين بعث الله نبيه بالهدى ودين الحق تختلف أشد الاختلاف عن صورتها في الوقت الحاضر ،